جُمْهُورِيَّة الْعِرَاقِ ديوانُ الوقفِ الشِيعي

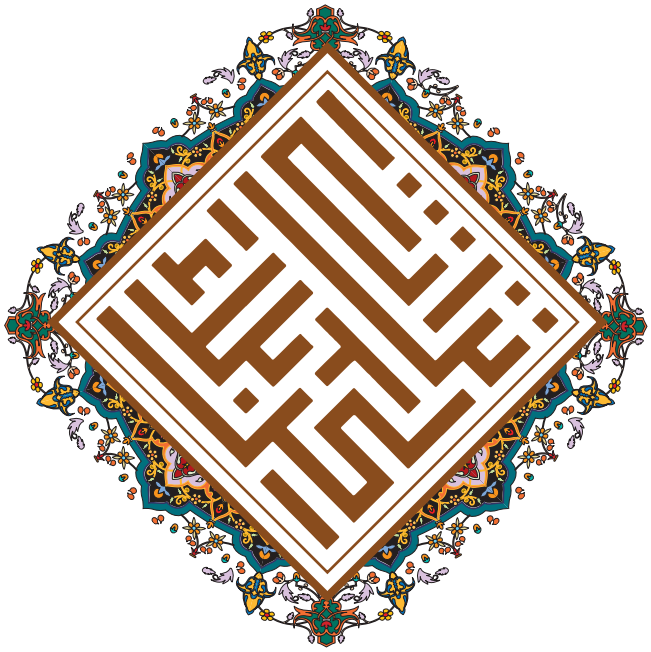

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة الثامنة/ المجلّد الثامن/ العددان الثالث والرابع (٢٩-٣٠)

شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ / كانون الأول ٢٠٢١م

النبي وآل البيت عليهم السلام
في شعر فضولي البغدادي
(دراسة موضوعية)

The Prophet and his Household(P.B.U.T.) in Fadhouli Al-Baghdadi's Poetry: A Study in Themes

أ. م. د. سمية حسنعليان

جامعة أصفهان كلية اللغات قسم اللغة العربية وآدابها

Asst. Prof. Dr. Sumaya Hassanalyan،
University of Isfahan، College of Languages،
Dept. of Arabic Language

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

الملخص:

قلما نجد ديوانا لشاعر مسلم يخلو من ذكر آل البيت عليهم السلام، مدحاً أو رثاء، إذ عَبَّرَ أولئك الشعراء عما في مكنونات قلوبهم من الحب والولاء لهم عليهم السلام، والشاعر فضولي البغدادي أحد الشعراء المشهورين إبان العصرين العثماني والصفوي، وقد نحا ذات المنحى إذ لم يخلو ديوانه من بيان فضائلهم ورثائهم أو مدحهم(صلوات الله عليهم أجمعين)، ويبدو أن ولادته في العراق، بمدينة كربلاء المقدسة على وفق ماجاء في أغلب المصادر التي ترجمت له كان لها تأثيرها الكبير في هذا المجال.

لذا سعينا في هذا البحث إلى دراسة تأثير أهل البيت عليهم السلام في شعر هذا الشاعر، مستندين إلى المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ إن الشاعر خصَّ كثيرا من قصائده الشعرية في مدحهم ورثائهم وبخاصة، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام؛ فضلا عن ذكر الشاعر لمصائب أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطف، وبما أن هذه الدراسة قد اهتمت بشعر فضولي البغدادي فقط، لذلك سعينا إلى دراسة ديوان الشاعر باللغتين الفارسية والعربية.

إنّ من أهم ما حصلنا عليه من نتائج أثناء البحث والتقصي، أن فضولي البغدادي كان بحق شاعرًا لأهل البيت عليهم السلام، فقد سعى بكل ما أوتي من مقدرة شعرية إلى إثبات محبته لهم في أشعاره التي شحنها بعاطفته الجياشة وأحاسيسه المرهفة، بلغة بسيطة سهلة واضحه بعيدة عن التكلف والصنعه المملة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الملتزم – الشعر الحسيني – النبي والآل عليهم السلام – فضولي البغدادي.

Abstract

Almost all Muslim poets' divans are packed with the Ahlul-Bait(the Prophet's Household) mention; whether elegy، eulogy. Those poets voiced their love and loyalty to the Prophet's Household. Fadhouli Al-Baghdadi is among those outstanding poets who lived the two eras; the Ottoman and the Safavid. He was born in Karbala، as documented by most references.

The current research examines the influence of Ahlul-Bait(the Prophet's Household) on his poetry through his divan in Arabic and Persian، depending on a descriptive-analytical approach. The poet lamented and eulogized the Prophet، Imam Ali ibn Abi Talib، Imam Al-Hussein، the Taf battle and the accompanying calamities.

The study concluded that Fadhouli Al-Baghdadi is categorically a poet who devoted himself and his poetry to the loyalty and love of the Prophet and his Household، with that distinguished elegant and well-designed tone of emotion and easy-going style and diction.

Key Words: Committed Literature، Husseini Poetry، the Prophet and his Household، Fadhouli Al-Baghdadi.

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع (٢٩ـ٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

المقدمة:

ومن المُسلَّم به أن الشعر من أنواع الفنون وأحد طرق التعبير عن عالم الروح والعقل المجرد، وله تاريخ طويل نشاهده منذ أقدم العصور البشرية، بحيث نستطيع القول إنّه ولد بولادة الإنسان وترعرع معه، وهو أداة للاتصال بين البشر وطريق البلوغ إلى هدوء الروح ورفع حاجات البشر المعنوية.

وعلى إثر ذالك نرى من المستحيل تعريف ماهية الفن بتعبير دقيقٍ وحدود واضحة؛ لصلته الوطيدة بالأمور المعنوية والذوقية. ولعلَّ من أهمّ تعاريف الفن الموجودة الذي تجدر الإشارة إليه هو تعريف تولستوي، إذ عرّف الفنَّ بأنّه «نشاط إنساني ينقل العواطف العالية للبشر وأفضل الإحساسات التي نال بها الإنسان»[1]، وكذلك الشعراء بوصفهم أُناسًا ذوي طبائع حسَّاسة ومشاعر مرهفة يهتمون دائمًا بكلِّ ما يجري حولهم في المجتمع أو بكلِّ واقعةٍ لها أثر هام في المصير الإنساني.

ومن تلك الوقائع المؤثّرة في الضمير الإنسانيّ واقعة الطف التي حدثت في سنة ٦١ للهجرة في أرض كربلاء، وأصبحت موضع اهتمام كثير من المسلمين وغيرهم، إذ نهل منها كثير من الناس باختلاف أديانهم وجنسياتهم، كما هو واضح في هذا التفاعل الكبير من أبناء الملل الأخرى وبخاصة عبر الأشعار التي خصوها بهذه الحادثة.

ولعلّ مردّ هذا الاهتمام في تجلي المعاني السامية والأخلاق النبيلة التي ظهرت في سيرة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في هذه الواقعة، وما جرى عليهم من المصائب والآلام، ووقوف الحق كله أمام الباطل كله، فضلًا عن منزلة الإمام الحسين عليه السلام بوصفه سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن جهة أخرى كان لحب أهل البيت عليهم السلام ومودتهم وما دعا إليه القرآن الكريم في الآية المعروفة بآية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢] دورٌ في ذكر أهل البيت عليهم السلام في شعر الشاعر.

ولا شك أن الأديب الملتزم بحب أهل البيت عليهم السلام يعكس ما في قلبه من حبٍّ وولاء لهم عليهم السلام في شعره، وكأن شعره مرآة لهذا الحب الصادق ومن هذا المنطلق يوحد بين فكره وعقيدته وسلوكه ويثبت قلمه ما يجول في ذهنه.

وانسياقا مع هذا أقبل الشعراء على مدح أهل البيت ورثائهم وبيان مناقبهم وفضائلهم وكأن هذا الالتزام بخط أهل البيت عليهم السلام هو التزام الروح والعقل والسير على سبيلهم ونهجهم لنشر التعاليم الإسلامية، وجهودهم لرفع مستوى الأمة في العلم والأخلاق والتقوى، وأن الالتزام بهم وبولايتهم هو الالتزام بولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية الله؛ لأنهم عليهم السلام لم ينطلقوا إلا من خلال إخلاصهم لله ولرسوله واهتموا بأن يربّوا جماعة من الناس تربية ترتفع بهم إلى مستوى روحيٍّ وفكريٍّ عالٍ.

ولم ينحصر هذا الالتزام بحب أهل البيت عليهم السلام على الأدباء الشيعة فحسب، بل كثيرا ما نلحظ أن الأدباء غير المسلمين مدحوا أهل البيت عليهم السلام وذكروا مناقبهم، من نحو الأدباء المسيحيين الذين مدحوا الإمام عليًا عليه السلام ولعلّ مردّ هذا هو أن حبّ أهل البيت عليهم السلام يساوي حبّ الخير والكمال والإنسانية والخصال الحميدة والمثل العليا، ومن جراء ذلك اقترب أولئك الأدباء فضلا عن المسلمين الشيعة خطوات واسعة إلى التشيع. ومن جهة أخرى لم ينحصر هذا الالتزام على الأدباء القدامى بل نجده عند المتأخرين منهم. ومن هؤلاء الشعراء المتأخرين الملتزمين بحب أهل البيت عليهم السلام فضولي البغدادي الذي لم يغفل عن هذا الموضوع في أشعاره الفارسية والعربية، ومما تجدر الإشارة إليه أن ترجمة الأبيات الفارسية وُضِعت بين قوسين معقوفين بعد ذكر النص مباشرةً.

وقد قسمنا البحث على تمهيد وأربعة مباحث، وكان التمهيد بعنوان: التعريف بالشاعر وبمصطلح الأدب الملتزم، ثمّ المبحث الأول بعنوان: مضامين عامّة تخص النبي وآل البيت عليهم السلام في شعر فضولي البغداديّ، بعده المبحث الثانيّ بعنوان: النبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في شعر فضولي البغدادي، والمبحث الثالث جاء بعنوان: الإمام علي عليه السلام في شعر فضولي البغدادي، والمبحث الرابع كان بعنوان: الإمام الحسين عليه السلام في شعر فضولي البغداديّ، وختم البحث بخاتمة ضمت أهم نتائج الباحث.

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع (٢٩ـ٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

التمهيد: التعريف بالشاعر وبمصطلح الأدب الملتزم.

أوّلًا: نبذة من حياة الشاعر فضولي البغدادي

أول من ذكر اسم فضولي البغدادي الكامل حاجي خليفة في كتابه(كشف الظنون) إذ سماه محمد بن سليمان[٣] وقد تبعه مؤلفو كتب التراجم في ذكر هذا الاسم له. وهو عبقريٌّ فذٌّ صاحبُ شخصيةٍ شهيرة فريدة حظي باكتساب المكانة المرموقة في الشعر العربي والفارسي بعلمه الغزير وثقافته الواسعة. «أصله ينتمي إلى عشيره البيات وهي بطن من قبيلة الغز التركمانية التي استوطنت العراق قديما وسكنت قرب واسط ولها ذيول في الشرق وتركيا وهم الآن لفيف من العرب والترك، يقيم فرع منهم في كركوك وبيوتات بغداد وغيرها من البقاع»[٤] كما ذكر صاحب كتاب(أعيان الشيعة)[٥] هذا الأمر وكتب عنه الشيخ آغا بزرگ الطهراني وقال: «إنّ اسمه محمد بن سليمان من قبيلة بيات ولد بكربلاء بحدود ١٤٩٨م كما في مقدمة(مطلع الاعتقاد) باكو بقلم حميد أراسلي ونشأ ببغداد ونسب إليها ويلقبه الأتراك رئيس الشعراء»[٦]؛ ولعل لقبه بالبغدادي السبب الرئيس في أن أدخل الشك في مسقط رأسه؛ ومع أنه من البدهي أنه من العراق إلا أنه تضاربت الأقوال والآراء حوله بين بغداد أو الحلة أو كربلاء.

من يعتقد أنه ولد ببغداد يستدل بشعره هذا إذ قال مخاطبا مصطفى چلبي ممدوحه[٧]:

بدان سبب كه تو از واسطى من از بغداد من وتوييم ز يك ملك در حقيقت حال

[أنا وأنت من ملك واحد في الحقيقة لأنك من مدينة واسط وأنا من بغداد]

ومما لا شك فيه أنه قد قضى كثيرا من عمره في بغداد إذ قال في شعره[٨]:

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

نيست در بغداديان مطلق فضولى رأفتى حيف عمر من كه بى حاصل دراين كشور گذشت

[يا فضولي! ليس بين أهل بغداد رأفة ورحمة أبدا؛ وحرم عمري الذي مضى في هذا البلد]

لكن الأصح هو أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق وأوسع إذ ذكر بعض مترجمي حياته أنه هاجر إلى بغداد ليخدم إبراهيم خان والي مدينة بغداد في العهد الصفوي وهذا يدل على أنه لم يولد في بغداد[٩].

كما يقال إن مولده مدينة الحلة فقد ذكر عزيز سلمي ذلك بقوله: «فضلي الابن وأبوه فضولي شاعران وهما من الحلة الآن»[١٠] والبعض شددوا في حكمهم وحملوا النصوص ما لا تحتمل إذ نسبوه إلى الحلة لمثل هذا القول في شعره العربي إذ قال[١١]:

لسانك حلو لحظ طرفك ساحر كأنك حلي وأرضك بابل

وكذلك هناك من نسبه إلى مدينة كركوك وقال عزيز سامي عنه: «إن بعض النساء من أسرة فضولي كن مقيمات في الجانب المطل نحو الشمال من قلعة كركوك وأنه مضى إلى ذلك الموضع فرأى الديار مهدمة خاوية من سكانها وإن ما يعزز اعتقاده صحة نسبة فضولي إلى كركوك أن الكثرة الكاثرة من سكان تلك المدينة يملكون نسخا من ديوان فضولي ويعتزون به ويحفظون معظم أشعاره وكان معظم الموظفين في العهد العثماني من هذه المدينة لعلمهم بالتركية فيحتمل أن يكون والد فضولي من أهل هذه المدينة»[١٢].

لم يذكر أصحاب التراجم تاريخ مولده بالضبط وبشكل دقيق ولكن كتب حسين مجيب المصري: «فكم يبلغ من العمر يوم ذهبت به المنون هذا ما أغفله الرواة ذكره كما سكتوا عن تاريخ مولده فإذا قدرنا أنه بلغ الستين من سنيه فلأمكننا أن نقول على وجه التقريب لا التحديد إن ميلاده كان عام ٩٠٠ الهجري

أو ١٤٩٢ الميلادي»[١٣].

وظهر من الروايات التاريخية المتعلقة بالمدة المبكرة من حياة فضولي أنه كربلائي المولد كما ذكر حميد أراسلي في مقدمة ديوان(مطلع الاعتقاد) أن فضولي ولد في مدينة كربلاء.

أما لقبه «البغدادي» الذي لحق به فذلك لأنه شدّ الرحال إلى هذه المدينة العريقة طالبا العلم والمعرفة فيها حتى يتخرج على جهابذة عصره إذ كانت بغداد مركز العلوم والفنون والأدب وكلّ من عزم السفر إليها لهذا الغرض لقبّ بالبغدادي[١٤].

وله ألقاب أخرى كلّها تدل على عظمة هذا الشاعر وشهرته منها: «ذو اللسانين» إذ كان يتقن اللغتين، بل ثلاث لغات(الفارسية، العربية والتركية). كما لقب أيضا بـ «سلطان الشعراء التركمان» و «شيخ الشعراء» و «رئيس الشعراء» و «الشاعر الأعظم» و «أعظم شعراء الشرق» و «أفصح الشعراء»[١٥].

والمتأمل في أشعاره يجد أنه قد تأثر بشعر كثير من الشعراء الذين عاشوا قبله أو عاصروه منهم: الفردوسي صاحب(الشاهنامة) الملحمة الفارسية والخيام النيسابوري والسعدي الشيرازي والحافظ، العطّار ومولانا جلال الدين الرومي والنظامي، وغيرهم من الشعراء[١٦] كما قد ظهر تأثره بشعراء العربية كالمعري والمتنبي وأظهر تمكنه في هذه اللغة وله ديوان شعر في اللغة العربية[١٧].

وكان فضولي شابًا وقد فتح الشاه إسماعيل الصفوي بغداد ولذلك حاول الشاعر التقرب إلى الملك وقدّم له شعره «بنگ وباده» وكما له علاقات طيبة مع إبراهيم خان، ومصطفى چلبي، وبعض الأمراء والولاة إذ كتب أثره «شكايت‌نامه: التذمر» للأخير مشيرا فيه إلى وضعه المعيشي السيئ[١٨].

في بيان مكانة الشاعر المرموقة في الأدب نكتفي بما ذكره حسين علي محفوظ فيه: «فضولي شاعر عظيم، انتهت إليه إمارة الشعر ورياسة الكلام في القرن العاشر وقد فخر به الترك وأطبقوا على تبجيله وأجمعت عليه آراؤهم لأنه مجدد الشعر التركي ومبدعه وحفي الفرس بآدابه واعتزوا به لأنه حاك الشعر بالفارسية ونمنم فيها نثرا يروق البصائر ويونق الأبصار»[١٩].

وفي بيان آثاره فأنه قد ألّف كتبًا كثيرة عرف منها إلى الآن ثمانية عشر مؤلفًا منها:

بالتركية: شاه وگدا؛ ليلى ومجنون؛ مثنوى بنگ وباده؛ روضه؛ صحبت الاثمار؛ شكايت‌نامه؛ رسالة معما؛ حديقة السعداء وذلك في ذكر فاجعة الطف ومصائب الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء.

بالفارسية: الديوان؛ رند وزاهد؛ صحت ومرض؛ أنيس القلب؛ ساقى‌نامه(هفت جام)؛ روح نامه.

بالعربية: الديوان، (مطلع الاعتقاد) وهو الكتاب الوحيد في النثر العربي وفي هذا الكتاب يصف فضولي مظاهر حياة المسلمين الروحية والمعنوية والفكرية بأسلوب أدبي راق، طبع حميد أرسلي هذا الكتاب القيم في باكو عام ١٩٨٥ م بعنوان «مطلع الاعتقاد والقصائد العربية لفضولي»[٢٠].

وفضولي شاعر من شعراء التصوف والعرفان، اعتزل الحياة المادية الدنيوية ورغب في الزهد وآثر الانقطاع إلى العبادة في بيت بسيط جوار قبر الإمام الحسين عليه السلام إلى أن وافته المنية بعد إصابته بداء الطاعون(قيل في سنة ٩٦٣هـ) ودفن بكربلاء. وفي مهرجان فضولي المقام في بغداد ١٩٩٤ وذلك لمرور ٥٠٠ سنه على ميلاده، تم بناء قبر رمزي للشاعر في غرفة تابعة لمكتبة ودار المخطوطات التابعة للعتبة الحسينية

المقدسة التي تقع في الجانب الايمن من باب القبلة.

ومما يلفت الانتباه أنَّه مكتوب على القبر أن له قصائد رائعة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام باللغة الكردية لكننا لم نجد هناك أية إشارة في ترجمته تدل على علم فضولي بهذه اللغة فضلا عن أننا لم نحصل على أشعاره باللغة الكردية. والله أعلم!

ثانيًا: الأدب الملتزم بحب آل البيت عليهم السلام؛ المصطلح والمفهوم

في الحقيقة قضية الالتزام نشأت عن وعي الإنسان بدور الفن والأدب ومسؤوليتهما في بناء حياته ومجتمعه فمنذ الفجر الأول للإنسانية استعمل الإنسان الفن والأدب لتغيير العالم والتقدم به وعرف ضرورتهما[٢١]، والالتزام في الأدب هو «تبني الأديب وجهة نظر محددة تجاه قضية معينة أو قضايا محددة والدفاع عنها»[٢٢] وهناك اختلاف كبير بين الالتزام والإلزام إذ يقوم الأول على المبادرة الذاتية الحرة وعلى الوعي والقناعة من دون إكراه بينما يقوم الثاني على الإكراه الذي يتخذ وجوها عديدة أهمها الترهيب والترغيب[٢٣].

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩ـ٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

وفي تاريخ الأدب العربي القديم والحديث نماذج كثيرة لالتزام الأديب العربي فكرًا وسلوكًا، وكفانا رجوعًا إلى كتاب «الالتزام في الشعر العربي» لأحمد أبوحاقة لنحصل على كمٍ غفير من هذه النماذج.

وانسياقا مع هذا، فالأديب المسلم الشيعي لا يُستثنى من هذه المهمة إذ يملك الكلمات بأشكالها المختلفة: الخطابة والكتابة والشعر و... للتعبير عن عقيدته وفكرته، ومما يندرج تحت هذه العقيدة أن أهل بيت نبي الإسلامﷺ الذين لهم قرابة مع الرسولﷺ اهتموا بالإسلام ونشر تعاليمه وتحمّلوا كل الأذى والجور في سبيله فهم جديرون بالثناء والمدح كما يستحقون الرثاء على مصائبهم. وهؤلاء الأدباء عالمون بأن للأدب رسالة سامية لا بد أن تتحقق عن طريق الكلمات فضلا عن أن الشعراء نقصد الشيعة منهم أولوا جل اهتمامهم لهذا الموضوع لأنهم ذوو طبائع حساسة وقرائح مرهفة وضمنوا شعرهم كثيرا من معارف أهل البيتﷺ لأن التشيع الحقيقي ليس إلا محبة أهل البيتﷺ وموالاتهم.

وأما الشعر الحسيني فهو الشعر الذي قد بدأ تاريخه بعد مقتل الإمام الحسينﷺ بكربلاء في المحرم من عام ٦١ للهجرة واستمر ومازال إلى زماننا هذا. وقد قسمه الكرباسي في كتابه(المدخل الى الشعر الحسيني) الى عدة مراحل هي:

«١. المرحلة الأولى: عهد الأئمةﷺ ويبدأ بمقتل الإمام الحسينﷺ يوم العاشر من المحرم عام ٦١ للهجرة وينتهي بغيبة الإمام المهدي عام ٣٢٦ للهجرة أي أوائل القرن الرابع.

٢. المرحلة الثانية: عهد ما بعد الغيبة ويبدأ من أوائل القرن الرابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

٣. المرحلة الثالثة: بداية العصر الحديث وقد بدأ منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى يومنا هذا»[٢٤].

وفي المرحلة الأولى بدأ الشعر الحسيني بعدما تراجع الأدب بشكل عام عن نمطه الإسلامي لأنه أصبح الحكم بيد الأمويين وأعادوا الأدب إلى العصر الجاهلي وأحيوا القيم الجاهلية وأصبح الجانب الأكبر منه وقفًا على السياسة الحزبية العصبية كما كان جانب كبير من الشعر الجاهلي متعلقًا بالحياة القبلية[٢٥].

وفي ظل تلك الأجواء التي قد مهّدت الأرضية لازدهار شعر النقائض وتطور الغزل على عادة الجاهليين بدأ الشعر الحسيني يزدهر ويتطوّر في كلّ مجالاته ولكن الشعر الأموي بقي يقلّد الأدب الجاهلي تقليدًا تاما وخصوصًا في شكل القصيدة وتعدد الأغراض[٢٦].

وأما في المرحلة التالية للشعر الحسيني فنلاحظ أن تحولات الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، قد أثرت في الشعر الحسيني، إذ ظهرت الدولة العباسية، وقد انتقل الحكم من الأمويين إلى العباسيين، وحُوّلت العاصمة من دمشق إلى بغداد، وقد بدأ كبار العلماء والأدباء والشعراء يفدون إليها، كما أخذت المولّدات الشعرية تتكاثر ويتفنن الشعراء في أشعارهم، وتوالت الحكومات واحدة بعد أخرى ولكن بقي الحسين وثورته مادة خصبة للشعراء في المراحل التاريخية المتعاقبة؛ لأن جذور الحبّ الذي غرسه آل البيت عليهم السلام في قلوب الناس عريقة جدًا ولن يزول حبهم مهما كان الاضطهاد والضغط كما كان الأمر في العهد العباسي، إذ كانت هناك محاولات من السلطات لقمع التراث الحسيني، ولكن الشاعر الحسيني الملتزم بقضية الحسين عليه السلام ونهضته ومبادئه وقيمه لم يتزعزع فهو شاعر هادف يستخدم شعره ونتاجه الأدبي والفكري في سبيل فكره وعقيدته، لأنه يرى نفسه صاحب مبدأ.

وإذا واجهنا الكم الغفير من الأشعار والقصائد والكلمات المضيئة للشعراء غير المسلمين فما بال الشعراء المسلمين الذين قد أُشربت قلوبهم بحب آل البيت عليهم السلام؟!

لذلك ما إن وقعت هذه الحادثة حتى بدأ الشعراء ينظمون القصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام. قصائد عاشوراء نمت روحيًا بتجديد الزمان لأن الحسين يرفض الحياة في الذل وأظهرت شموخ أهل البيت وسجاياهم الكريمة ومظلوميتهم، فأثر ذلك كله في عواطف المجتمع الإسلامي والإنساني تأثيرًا عميقًا، وظلّت معالم الأسى مقرونة بالثورة وهي تفوح من كلام الشعراء في كلّ عصر لتحرق الضمير الإنساني وتهز الوجدان أينما سمع ذلك الكلام، وأصبحت هذه القصائد محرّكة للأمل والخلاص في كلّ عصر يحتدم به الظلم وينشر الطاغوت عباءة الخوف على رؤوس الناس، فحققت القصيدة الحسينية وظيفتها اتجاه وحدة الصراع مع الحكم الجائر وأصبحت خير ناقد لمساوئ حكام العصر أو الظواهر غير السامية في المجتمع(٢٧).

لم ينحصر الشعر الحسيني على السنوات الأولى أو بالقرون الأولى بعد استشهاد الإمام عليه السلام، لأن قضيته لم تخضع لمرحلة معينة من التاريخ أو لبقعة محدّدة من بقاع الأرض بل إنها ترسخت في القلوب والأذهان وقد تنفتح آفاق جديدة من هذه الواقعة أمام الشعراء يوما بعد يوم وكلّما تقدم الزمن، كما لم ينحصر الشعر الحسيني على شعب واحد أو ناس ذوي جنسيات واحدة، ولعل كتاب «كربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية» الذي جمع بين دفتيه كثيرًا من الأمثلة للشعر الحسيني في الشعر العربي، والفارسي، والتركي، خير دليل على هذا الموضوع إذ أنّ مؤلف الكتاب الدكتور حسين مجيب المصري عرّف كثيرًا من شعراء الشعر الحسيني من الشعوب المختلفة وأشار إلى أوفرهم نصيبًا في نظم الرثاء الخاص بالحسين عليه السلام وأهل بيته، وكما أنه قام بترجمة تلك الأشعار إلى اللغة العربية وبصورة شعريّة.

المبحث الأوّل

مضامين عامة تخصّ النبي وآل البيت عليهم السلام في شعر فضولي البغدادي

في هذا القسم من البحث سندرس شعر فضولي البغدادي في النبي وآل بيته عليهم السلام دراسة موضوعية مشيرين إلى شيء من الجوانب الفنية فيه، ولكن قبل أن نخوض في المضامين التي ضمّنها فضولي قصائده في النبي وآل بيته عليهم السلام ونأتي على ذكر الأشعار وشرحها في أقسام مختلفة مشيرين إلى المضامين العامة التي ذكرها الشاعر في قصائده بخصوص أهل البيت عليهم السلام وهي:

السعادة لمن يسلك طريقهم عليهم السلام:

إذ قال الشاعر مشبهًا من يقبل طاعة المعصومين الأربعة عشر بالقمر أو البدر الذي يكتمل في الليلة الرابعة عشرة في كلّ شهر وكما أن عدد الشهور اثنا عشر ويدور الفلك والدهر عليه فعدد أئمّة أهل البيت كذلك اثنا عشر[٢٨]:

هر كه مهر چارده معصوم دارد كامل است هست ماه چارده را هم از آن مهر اين كمال

[كامل من في قلبه محبة الأئمة الأربعةعشر كما أن البدر بلغ هذه الدرجة من الكمال لحبه لهم عليهم السلام]

وهذه الأبيات إذا دلّت على شيء فإنَّما تدل على مذهب فضولي إذ كان من شيعة الأئمة الإثني عشر علمًا أنَّ هناك تباينًا في مذهبه، فقد ذهب البعض إلى أنه من أهل السنة إذ له قصائد في مدح سليمان القانوني عندما فتح بغداد واستقر فيها.

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادي الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

موالاة آل البيت عليهم السلام سبيل النجاة:

أشار إلى هذا المضمون في هذا البيت إذ قال[٢٩]:

هر شهنشاهی که دارد صدق با ال علی　　در نظام ملك او راهی ندارد اختلال

[كل ملك له علاقة الصداقة بآل البيت عليهم السلام فلا اختلال في نظام ملكه]

فضل الممدوح في أنه محب لآل البيت عليهم السلام:

وذلك أن لفضولي عهدًا ألا يمدح الملوك ولكنّ حبّ الممدوح للإمام علي عليه السلام ومحبته لشيعته جعلت الشاعر ينقض العهد وأخذ يمدحه بقصيدة[٣٠]:

داشتم عهد از ثنای خسروان روزگار　　عهدمن بشکست اقدام تو بر حسن خصال

لطف داری بر محبان علی وه چو نکنم　　گر نمی گویم ثنایت می‌شوم البته لال

[عاهدت ألا أمدح ملوك الدهر ولكن خصالك الحسنة وميزاتك جعلتني أنقض العهد؛ وأنت لطيف مع محبي الإمام علي عليه السلام ويا للعجب لو لم أمدحك فالأحسن أن أكون أخرس]

القريب منهم عليهم السلام لا يزول ذكره:

إذ أنشد في مدح ممدوحه الذي كان يحب آل البيت عليهم السلام[٣١]:

هر سرافرازی که باشد بنده این خاندان　　آفتاب دولت او را نمی باشد زوال

[كلّ ملك مرفوع الرأس كان عبدًا لآل البيت عليهم السلام ويتقرب بهم إلى الله فلن تغرب شمس ملكه ولن يفنى ذكره]

كما ذكر هذا المضمون في قصيدة أخرى[٣٢]:

کسی که سایه آل علی پناهش نیست　　گر آفتاب بود روی می نهد به زوال

[من ليس ظل آل البيت عليهم السلام مأواه فيزول لا محالة حتى ولو كان شمسًا ستغرب]

الإشارة إلى ولائه ومحبته لهم عليهم السلام:

وقد ذكر هذا الأمر في أشعاره العربية قائلا[٣٣]:

إن الهوى متمكن في مهجتي ... لا يمكن التقليل لاستقلاله
فالروح منتسب إلى أعقابه ... والقلب مصطبر على أهواله
عنقي بأغلال الغرام مطوّق ... لا أطلب الإطلاق من أغلاله
قدمي على نهج المحبة ثابت ... لم أسع في تدبير حل عقاله

وقد ذكر مخاطبًا النبي صلى الله عليه وآله أنّ حبّه له يزداد يوما بعد يوم[٣٤]:

لي في هواك تشوق متنوع ... في كل أيام بدت ولياله
متجدد متوفر متكثر ... متزايد متواتر متوالي

طلب الرحمة والشفاعة والنظر من آل البيت عليهم السلام:

وهذا المضمون قد تجلى في أشعاره الفارسية والعربية في مدح آل البيت عليهم السلام؛ إليك بعض النماذج منها:

قال مخاطبًا النبي صلى الله عليه وآله مشيرًا إلى ضعفه وفقره وذلته[٣٥]:

فانظر إلى فقر الفضولي إنّه ... عبد ضعيف عاجز وذليل

وقال[٣٦]:

امید هست که از لطف تو پذیرد عفو ... معاصی همه خلق وفضولي ما هم
تویی که روز جزا چون شفیع خلق شوی ... جراحت همه را از تو می‌رسد مرهم

[نرجو الله تعالى أن يعفو عن كلّ معاصي الخلق وذنوب الفضولي الشاعر، لأنّك أنت الشفيع عند الله يوم الحشر ولذلك ستكون بلسمًا لكلّ جراحات الناس]

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

المبحث الثاني

النبي الأكرم محمد ﷺ في شعر فضولي البغدادي:

قد خص فضولي بعض قصائده الفارسية والعربية لمدح الرسول الأكرم ﷺ وأثبت فيها ولاءه ومحبته له ولآله عليهم السلام. وقد أشار إلى المضامين التالية في مدحه له(صلوات الله عليه):

عشق النبي مزيل الهم[٣٧]:

مـرا ز نشئه عشقست عالمی کـه درو نـه راحتیست ز لـذت نـه محنتی ز الم

[كأني لعشقه دخلت عالمًا لا راحة فيه من اللذات ولا محنة من ألم]

حبّ النبي حبّ حقيقي[٣٨]:

چه عشق عشق حقیقی که بر صحیفه کون طفیل او شـده نـقش مکـونـات رقـم

[هذا الحبّ للنبي هو الحب الحقيقي الذي تجلّى في صحيفة الكون وهو سبب خلق كلّ العالم]

ذكر بعض الخصال الحسنة للنبي ﷺ:

أشار في الأبيات التالية إلى أن النبي هو الأميّ المكيّ القرشيّ وهو الذي سبَّب زوال ملك العجم كما أصلح حال العرب، مشبهًا إياه بالشمس والقمر، ذاكرًا كرمه وجوده عليه السلام[٣٩]:

نـبـی امـــی مـکـی محـمـد قـرشـی صـلاح ملك عـرب فتنه مـلـوك عجم

مـه سـپـهـر وفـا آفـتـاب اوج سخا شـه خجسته سر سرور حمیده شیم

[محمد ﷺ هو النبي الأمي المكي الذي ينتمي إلى قريش، وهو الذي أصلح العرب كما أزال ملك العجم؛ وهو قمر الوفاء وشمس السخاء وكأنه ملك سيد

الملوك ذو الشيم الحميدة]

كما ذكر في قصيدته بالعربية مشبهًا النبيﷺ بالبدر في كمال صفاته وحسنها:

بـــدر بـــدا بـجـمـالـه مـتـكـمـلا فـــاق المـــلاح جمـالـــه بـكـمـالـه
يـا بهـجـة سـلـب الـقـلـوب بلحظه وبـــقـــده وبـــخـــده وبـخـالـه

...

لـثـنـاء سـيـدنـا الـــذي بـلـغ الـعـلا بـجـلالـه وجمـــالـــه وكـمـالـه
سـنـد كـريـم سـيـد مـتـكـرم قـد بـان أمـر الحـق في إرسـالـه

والبيت الثالث يذكرنا بالبيت الشهير للسعدي الشيرازي إذ قال في مدح النبيﷺ:

بـلـغ الـعـلا بـكـمـالـه كـشـف الـدجـى بـجـمـالـه
حـسـنـت جمـيـع خـصـالـه صـلـوا عـلـيـه وآلـه

الإشارة إلى غزوات النبيﷺ وسنته الحسنة في الشريعة الإسلامية(٤٠):

سپاه دولت ودين را سوار خصم افكن سرير شرع مبين را شهنشه اعظم
تميز داده حرام وحلال را بسلوك نموده راه نعيم وسقر بلا ونعم

[كان النبيﷺ يركب غازيًا الأعداء مدافعًا عن جيش الدولة والدين وكان بمنزلة الملك الأعظم لعرش الشريعة الغراء؛ هو الذي ميز الحلال من الحرام بنهجه، وبين الطريق إلى جهنم والجنة واضحًا]

إزالة النبيﷺ الأصنام من الكعبة(٤١):

هـزار كـافـر را از صـنـم بـرآورده بزيب حسن شكسته صف هزار صنم
چو او بكعبه درون آمده برون شده بت بسعى او شده خالى حرم ز نامحرم

[قد أخرج ألف كافر من عبادة الأصنام وقد كسر صفوف الكفر ومزقها بحسنه

وجماله؛ وكلما دخل الكعبة قد خرجت الأصنام والأوثان منها وقد خلا الحرم الإلهي من الأغيار]

نشر النبيﷺ العدالة في العالم[٤٢]:

چو كوس عدل زده در حجاز ودر بغداد نموده طاير دولت ز طاق كسرى سم

[ما إن ضرب على أجراس العدالة في الحجاز وفي بغداد، حتى طار طائر دولة كسرى من إيوانه]. (إشارة إلى معجزة ولادة النبيﷺ إذ ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة).

مقارنة بين النبي محمد والنبي موسى عليهما السلام ومعجزاتهما[٤٣]:

ميان موسى واو فرق ماه تا ماهيست كجا شكستن ماه وكجا بريدن يم

[الفرق بين النبي موسى والرسول الأكرم مثل الفرق بين القمر والسمك، أين انشقاق القمر من شق البحر؟!]

في هذا البيت قارن الشاعر فضولي بين نبينا محمدﷺ ونبي الله موسىؑ مشيرا إلى معجزة انشقاق القمر للنبيﷺ وهي حادثة وقعت في عهد الرسولﷺ والحادثة مذكورة في القرآن الكريم سورة الانشقاق. ومعجزة موسىؑ إذ شق البحر بعصاه وغرق فرعون وجنوده، والشاعر يفضل معجزة النبيﷺ ويعد الفرق بينهما قدر فاصلة بين البحر والقمر.

النبيﷺ هو هدف الخليقة:

وهذا المضمون مقتبس من الحديث القدسي: «لولاك ما خُلِقَت الأفلاك»[٤٤]، فقال[٤٥]:

أنت المراد من العوالم كلها وبك اكتفيت رضى وغيرك مالِ

عدم الاكتراث بلوم العُذّال في حبه للنبي وآله صلوات الله عليهم:

مما يلفت الانتباه في شعر فضولي الفارسي والعربي إشارته إلى لوم الذين عاتبوه لحبه لآل البيت عليهم السلام، ولعل مردّ ذلك يعود الى العصر الذي عاش فيه الشاعر والبيئة الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر وهو القرن العاشر الهجري، إذ كان الأتراك يحكمون قبضتهم على كل منطقة غرب آسيا وصولا الى مصر، وكان العراق محل نزاع وصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية فتسيطر عليه الدولة الصفوية أحيانًا، فيما كانت الدولة العثمانية السنية تتحكم فيه أحيانًا أخرى(٤٦).

في الأبيات التالية يتمنى الشاعر أن يكون أصمّ كيلا يسمع أقوال العُذّال في هواه وحبه(٤٧):

فلا عيب لي لئوما ارتكبت فواحشا ... يكدرني لوم العواذل في الهوى
فيا ليتني عن قولهم كنت أطرشا ... فلم تمح آثار الهوى عن سريرتي
وإن لامني فيها العذول وناقشا ... فكيف أنا في العشق جهلا وإنه
مفيض صفاء العقل والروح والحشا ... لنعت بي عز رفعة قدره

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

المبحث الثالث

الإمام علي عليه السلام في شعر فضولي البغدادي:

قد رسخت محبة الإمام علي عليه السلام في قلب فضولي الشاعر إذ لم يقدر على أن يترك العراق لهذا الحب الوافر فقال في شعره الفارسي[٤٨]:

يمين بشاه نجف ياد كـرده‌ام صد بار كه از نجف نشوم مايل يمين وشمال

[أقسم بالإمام علي ملك النجف مائة مرة إني لن أترك هذه المدينة ولا أذهب يمينا ولا شمالا ولن أميل عنها]

لقد خص فضولي كثيرًا من قصائده لمدح الإمام علي عليه السلام ولم يتحدث عن العشق إلّا وعشق الإمام يلفت انتباهه ويجذبه إلى وصفه وثنائه، وكأنَّ حب الإمام عليه السلام كان يشغل فكره بطريقة تجعل الشاعر يذوب في ذلك الحبّ وتلتهب نار شوقه إليه.

وقد أشار الشاعر إلى المضامين التالية في مدحه للإمام علي عليه السلام:

الإشارة إلى بعض خصال الإمام عليه السلام كالعلم والسخاء:

وصف علم الإمام علي عليه السلام مضمنا الحديث النبوي الشريف: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[٤٩] وقال[٥٠]:

به‌شهر علم نبی چو علی‌ست در چه عجب زجبرئیل گر او را ز حاجبان در است

[كلما يكون الإمام علي عليه السلام باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله فلا عجب في أن صار جبرئيل عليه السلام من حجاب بابه وذلك لمنزلته العالية]

وقال مخاطبا الإمام[٥١]:

هستی در مدینه علم نبی ولی آن در که هست نُه فَلَکَش خاك آستان

[أنت يا علي باب مدينة علم النبيﷺ ولكن ذلك الباب الذي كل الأفلاك التسع تربة عتبته]

كما ذكر تقواه وزهده[٥٢]:

ولي وصي كامل متكمل تقي نقي زاهد متسرع

وقال في سخاء الإمام وجوده مشبها إياه بسماء الجود والكرم في سعته وكثرته[٥٣]:

أيا سپهر سخاوت همای اوج شرف كه ذكر نام شريف مباركست بفال

[يا سماء السخاء والجود ويا أيها الطائر الذي يطير في ذروة الشرف والكرامة! اسمك مبارك شريف يتفاءل به الناس]

وقد ذكر أن الإمام جامع الأضداد قائلا[٥٤]:

هو الغيث للأحباب والليث للعدى ودادا وإكراها يضر وينفع

ونلحظ أن الشاعر استعمل صنعة التضاد في البيت بين «الأحباب والعدى» وبين «يضر وينفع» لتدل المفردات على هذا التضاد في الصفات أيضا.

الإمام فريد في سلوكه ونهجه[٥٥]:

بدين سبب كه تويى كم كسيست در عالم بدين روش كه تويى زود مى رسى به كمال

[لا نظير لك في العالم بهذه الطريقة التي تنتهجها ومن خلالها تبلغ الكمال بسهولة]

الإمام معين الخلق في مشاكلهم:

يصف الشاعر الإمامعليه السلام بأنه حلال المشاكل ويقول مخاطبا إياه[٥٦]:

تويى كه گر مدد از همت تو خواهد كَس برای رونق هر كار حل هر اشكال

گره گشايى هر كارى مى‌تواند كرد بسان غنچه گلزار دولت اقبال

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

[أنت من استعانك لتحسين عمل أو لحل مشكلة فيجدك حلال المشاكل ومعينه، وأنت من يحل عقد المشاكل كما أن الرياح التي تجري في البستان تجعل البراعم تتفتح]

ذكر كرامات الإمام علي عليه السلام:

ذكرها في شعره العربي[٥٧]:

إليه رجوع الشمس بالطوع لازم فمن غيره في الشرع والعرف مرجع

في البيت إشارة إلى واقعة رد الشمس إذ ردّ الله تعالى الشمس مرتين لوصي رسول الله الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام فمرة رد الله تعالى له الشمس في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ومرة آخرى بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلى جوار الله تعالى في عهد خلافة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تظافرت الروايات وتلاحمت الأدلة النقلية على تأكيد وتوثيق معجزة ردّ الشمس في عهد الاسلام للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام إذ روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى ردّ عليَّ الشمس مرّتين، ولم يردّها على أحد من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله غيري»[٥٨].

الإشارة إلى الظروف الصعبة في تلك المدة لمدح الإمام عليه السلام:

وذلك أن العهد العثماني كان عصرًا من العصور المظلمة لشعراء آل البيت إذ منعهم خلفاء الدولة العثمانية عن مدح الإمام علي عليه السلام وقد أشار فضولي إلى هذا الموضوع في شعره العربي والفارسي إذ قال[٥٩]:

فأنت ظهير الحق يا معدن الوفا فضولي رجاء باب لطفك يقرع
ويشكو عن الحساد أن عنادهم كثير وعين الحال من ذاك تدمع
فيدعو ويرجو أن قهرك عاجلا إلى دفع إفساد المفاسد يسرع

وكذلك أنشد نادمًا على مدحه الخلفاء الآخرين في العهد العثماني حفاظًا على

مهجته معلنًا توبته إلى الله تعالى من قوله الشعر بمدح غير الإمام علي عليه السلام[٦٠]:

روزى مباد اينكه براى توقعي از من به غير آل على سر زند ثنا
در عمر خويش غير ثناى على وآل از هر چه كرده ايم بيان توبه ربنا

[لا يأتي الله بيوم أمدح فيه غير الإمام علي وآله عليهم السلام وأثني على غيرهم، وأتوب إلى الله تعالى مما مدحت به غير الإمام طيلة عمري]

وذلك أن شاعرنا عاش في العهدين المختلفين المضطربين بين عهد الشاه إسماعيل الصفوي(١٤٦٨م-١٥٢٤م) مؤسس الدولة الصفوية وعهد السلطان سليمان القانوني(١٤٩٥م - ١٥٦٦م) الذي اعتمد اللغة العثمانية الهجينة وذاق الشاعر مرارة العيش وكان يتسلم الراتب من العتبات المقدسة إلا أن هذا الراتب قد قطع منه مدة من الزمن وكان السبب في ذلك يعود الى التناحر الموجود بين أتباع الدولة الصفوية الآذربيجانية وأتباع الدولة العثمانية التركية[٦١].

مدح الإمام علي عليه السلام فخر كبير للشاعر:

إذ أخذ شاعرنا يلوم الشاعر سلمان ساوجي(الشاعر الشهير في القرن الثامن الهجري) بسبب مدحه الخلفاء والأمراء والحكام وبدأ يفتخر بنفسه إذ وهبه الله فرصة مدح الإمام علي عليه السلام[٦٢]:

گر چه در لطف ادا رتبه سلمانم نيست قطره اى را نبود حوصله عمانى
ليك سلمان همه عمر تلف كرد حيات در ثناى نسب فرقه چنگيز خانى
من كمين مادح ومنسوب به اهل بيتم كار من نيست به جز مدح ومناقب خانى

[إن لم أكن في نظم الشعر مثل سلمان ساوجي ولست في مكانته إذ أنا قطرة في بحر شعره، لكنه أتلف كلّ عمره في مدح الملوك الذين ينتمون إلى جنگيز وقوم التتار، وأنا من القلائل ممن يهتم بمدح ال البيت عليهم السلام وليس لي عمل إلا مدحهم وثناءهم وذكر مناقبهم وفضائلهم]

وفي البيت الأول إشارة إلى منزلة سلمان الشاعر السامية ومكانته المرموقة إذ شبه نفسه بقطرة أمام البحر ولكنه مع هذه المكانة قد أتلف عمره في مدح غير الإمام.

كما ذكر في قصيدة أخرى هذا الفخر وشكر الله تعالى على أنه مدح الإمام لخمسين سنة[٦٣]:

يا أمير المؤمنين شد مدت پنجاه سال كز جناب حق به مدح تو فضولی ملهم است

[يا أمير المؤمنين! صار لي خمسين سنة وأنا ملهم من الله تعالى وأنظم الشعر في مدحك وثنائك]

كما أنشد في قصيدة أخرى[٦٤]:

سرورا مداح شاه اولیایم مدتیست در مناقب کرده‌ام صرف سخن پنجاه سال

[سيدي! كنت مادحًا لملك الأولياء وسيدهم، وقضيت خمسين سنة في ذكر مناقبه وفضائله]

المبحث الرابع

الإمام الحسين عليه السلام في شعر فضولي البغدادي:

لم يذكر فضولي الشاعر الإمام الحسين عليه السلام في شعره العربي ولكن قد خص عدة قصائد له في شعره الفارسي كما أنه كتب «حديقة السعداء» في ذكر مصائب الإمام عليه السلام في كربلاء. المضامين التي ذكرها في شعره عن الإمام الحسين عليه السلام هي:

أوّلًا: الإشارة إلى مصيبة آل البيت عليهم السلام في كربلاء:

في قصيدته الشهيرة التي تبدأ بـ «السلام اى ساكن محنت‌سراى كربلا» ويرثي بها الإمام الغريب المدفون في كربلاء؛ لأن في هذا الشطر يصف أرض كربلاء بأرض المحنة والبلاء.

والجدير بالذكر أن لتكرار كلمة «كربلاء» في هذه القصيدة غرضًا بلاغيًا إذ للتكرار جانبان من الأهمّية: «فهو أوّلاً يركز المعنى ويؤكّده، وهو ثانياً يمنح النصّ نوعاً من الموسيقى العذبة المنسجمة مع انفعالات الشاعر في هدوئه أو غضبه أو فرحه أو حزنه»[٦٥] كما أنه أسلوب يتضمّن الإمكانات التعبيرية الّتي يتضمّنها أسلوب آخر، إذ يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة[٦٦]. ويثري العاطفة ويرفع درجة تأثيرها، ويركّز الإيقاع ويكثّف حركة التردّد الصوتي في القصيدة[٦٧]. وكأنه يريد أن يؤكد على مصيبة آل البيت عليهم السلام ومصائبهم وكم من الأحزان والآلام والبلايا التي تحملوها في هذه الواقعة، والقلب هو مأتم الإمام الحقيقي[٦٨]:

بهر تو ماتمكده‌اى بيش نيست　　خانه دل كز غم ورنج وعناست

گريه كنان مردم چشم همه　　بهر تو پوشيده سيه در عزاست

[لا مأتم لك إلا بيت الفؤاد المليء بالهم والحزن والغم؛ وعيون الناس كلها

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

تبكي عليك والناس كلهم لبسوا الحداد لأجلك]

كما أن من لا يبكي دما على شهيد كربلاء كأنه لم يدرك كنه الواقعة[٦٩]:

هر كه اندر كربلاء از ديده خون دل نريخت غالبا آگه نشد از ماجراى كربلا

ثانيًا: ذكر الرتبة العالية والمقام السامي للمدفون في كربلاء:

لا شك في الرتبة التي حصل عليها شهداء كربلاء والمقام السامي عند الله تعالى لمجاهدتهم وصبرهم على البلايا ولذلك فإن الأموات المدفونين بجوارهم يتمتعون بالرحمة التي تشمل هؤلاء الشهداء؛ ومن هذا المنطلق يصف الشاعر هذا المقام بأن الأحياء كلّهم في البلاد يغبطون المدفونين في هذا المقام مع أنهم أحياء يعيشون على الأرض وهم أموات تحت التراب[٧٠]:

السلام اى رشك برده زنده‌هاى هر ديار در جوار مرقدت بر مرده‌هاى كربلا

[السلام عليك يا من يغبط الأحياء في كلّ بلد الأموات الذين دفنوا بجوار قبرك]

ثالثًا: كربلاء هي دار الشفاء للمؤمنين:

قد ذكر الشاعر مرّات أن كربلاء هي دار الشفاء وكلّ مريض يرغب في زيارة قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام[٧١]:

روى الم باز سوى كربلاست رغبت بيمار بدار الشفاست
ذكر لب تشنه شاه شهيد شهد شفاى دل بيمار ماست

[يتوجه الألم إلى كربلاء مرة أخرى كما أن المريض يرغب فيها بوصفها دار الشفاء؛ وذكر الشفاء العطشى للملك الشهيد هو الشهد الذي يشفي قلوبنا المريضة]

رابعًا: الجنة جزاء زائر الإمام الحسين عليه السلام:

يعتقد الشاعر أن من يزور الإمام الحسين عليه السلام يتمنّى روضة الرضوان(الجنة) ولكنّه يستدرك الأمر ويشير إلى أن الزائر يستحي أن يسأل عن روضة أخرى في حين أن كربلاء هي الجنة الحقيقية(٧٢):

آن كه به درگاه حسين على روى نهاده به اميد جزاست
نيتش اينست كه كردم طواف روضه جزاى عمل من سزاست
مى‌شود البته خجل گر كسى پرسد ازو روضه ديگر كجاست

[من يزرْ قبر الإمام الحسين عليه السلام يأمل الجزاء الحسن؛ ونيته بعد أن يطوف حول قبر الإمام أن يحصل على الجنة ويرى أنها جزاء عمله؛ وأن يصير خجلًا مستحييًا من أن يسأل أين الجنة الأخرى؟!]

خامسًا: الإمام راضٍ بما قدر له الله تعالى:

وقد لمح الشاعر إلى قول الإمام عليه السلام إذ قال في يوم عاشوراء، مناجيًا ربّه إذ كان في كلّ موقف يناجيه وختم هذه المناجاة بقوله: «صبراً على قضائك يا ربّ لا إله سواك يا غياث المستغيثين»(٧٣)؛ قال فضولي الشاعر مشيرًا إلى هذا الأمر(٧٤):

اى به رضاى تو قضا وقدر وى همه كار تو بتقدير راست
بود دلت را بشهادت رضا نصرت دشمن اثر آن رضاست

[يا من يرضى بالقضاء والقدر وكلّ أعماله مقدّرة؛ وكان قلبك راضيًا بالشهادة في سبيل الله ونصرك على الأعداء هو ثمرة هذا الرضا]

سادسًا: الاستعانة بشهيد كربلاء:

يستعين الشاعر بالإمام الحسين عليه السلام وهو مطمئن البال أن الإمام يقضي حوائجه إذ لا شك عنده في أنه عليه السلام يهتم بعدوه فكيف يترك صديقه ومحبه(٧٥):

دوست چه سان از تو شود نا امید حاجت دشمن چو بلطفت رواست
کار فضولی به تو افتاده است چاره او کن که بسی بینواست

[كيف يقنط الصديق منك في حين أنك تقضي حوائج الأصدقاء بلطفك ومحبتك؛ والآن أنا أحتاجك فارحمني لأني مسكين فقير]

الخاتمة:

في دراسة أشعار الشاعر الشهير فضولي البغدادي الفارسية والعربية حصلنا على عدة نتائج؛ منها:

- أنَّ فضولي البغدادي شاعر آل البيت عليهم السلام حقا؛ إذ قضى أكثر من خمسين سنة من عمره في خدمة آل البيت ومدحهم وبيان مناقبهم.
- المضامين العامة التي استعملها في مدح آل البيت عليهم السلام كثيرة، أبرزها: طلب الرحمة والشفاعة والنظر من آل البيت عليهم السلام، الإشارة إلى ولائه ومحبته لهم عليهم السلام.
- المضامين التي أشار إليها في مدح النبي كثيرة، منها: عشق النبي مزيل الهم، حبّ النبي صلى الله عليه وآله حبّ حقيقي وذكر بعض الخصال الحسنة للنبي.
- حبّه للإمام علي عليه السلام واضح جلي كوضوح الشمس في رابعة النهار؛ وقد أظهره في كثير من قصائده وحتى في قصائده التي نظمها في مدح الملوك والخلفاء في مضامين عدة منها: الإشارة إلى بعض خصال الإمام كالعلم والسخاء والإمام فريد في سلوكه ونهجه.
- لم يغفل فضولي عن رثاء الإمام الحسين عليه السلام وذكر واقعة الطف في شعره ومن مضامين التي ذكرها في رثاء الإمام هي: الإمام راض بما قدّر له الله تعالى والجنة جزاء زائر الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء هي دار الشفاء للمؤمنين وذكر الرتبة العالية والمقام السامي للمدفون في كربلاء والإشارة إلى مصيبة آل البيت عليهم السلام في كربلاء، كما لاحظنا أنه كثيرًاما كان يستعين بالإمام في أشعاره.
- مثّل رثاء الشاعر للإمام الحسين عليه السلام صورةً واضحةً لواقعة الطف.
- لغة فضولي بسيطة سهلة واضحة بعيدة عن التكلف والصنعة؛ والتشبيهات في شعره متكررة؛ والعاطفة جياشة مرهفة في شعره الفارسي والعربي تصدر عن قلب ذاب في حب أهل البيت عليهم السلام.

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

الهوامش

١. تولستوي، هنر چيست؟، ص ١٢.
٢. الشورى، الآية ٢٣.
٣. ينظر: كشف الظنون: ١/ ٨٠٥.
٤. حسين علي محفوظ، فضولي البغدادي، ص٢٥.
٥. ينظر: أعيان الشيعة: ٨/ ٤١٥.
٦. الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١١/ ٢٥٤.
٧. الديوان، ص ١٣٥.
٨. المصدر نفسه، ص ٥٦.
٩. خيامبور، فضولي محيط زندگانى وشخصيت او، ص ٩٨.
١٠. سلمي، الشاعر التركي الأشهر فضولي بغداد، ص ٣٤.
١١. بيات، http: //www.bizturkmeniz.com
١٢. مجيب المصري، في الأدب الإسلامي، فضولي بغداد، ص٣٦.
١٣. المصدر نفسه، ص٣٦.
١٤. ينظر: أعيان الشيعة: ٨/ ٤٧٥.
١٥. ينظر: المصدر نفسه: ٨/ ٤٧٦.
١٦. جاكابچير، محمد فضولي بغدادى، ص ١٦١.
١٧. ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: ٤/ ١٢٦.
١٨. ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ١٢٦-١٢٧.
١٩. حسين علي محفوظ، فضولي البغدادي، ص٣.
٢٠. ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: ٤/ ١٢٥-١٢٦.
٢١. فيشر، ضرورة الفن، ص١٥.
٢٢. غرام، قضية الالتزام في الشعر العربي، ٢٠.

٢٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها، أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص٦٦.

٢٤. الكرباسي، دائرة المعارف الحسينية، المدخل إلى الشعر الحسيني، ١/ ١٣٥.

٢٥. فروخ، تاريخ الأدب العربي، ١/ ٣٦٠.

٢٦. المصدر نفسه، ١/ ٣٧١.

٢٧. فلاحتي وآخرون، ص٥٥ نقلا عن عنوز، الأدب المعاصر، ص٢٠ ٢٣.

٢٨. الديوان، ص ١٨٧.

٢٩. المصدر نفسه، ص ١٨٨.

٣٠. المصدر نفسه، ص ١٨٨.

٣١. المصدر نفسه، ص ١٨٥.

٣٢. المصدر نفسه، ص ١٨٥.

٣٣. المصدر نفسه، ص ٨٥.

٣٤. المصدر نفسه، ص ٨٩.

٣٥. المصدر نفسه، ص ٩٣.

٣٦. المصدر نفسه، ص ٤٢.

٣٧. المصدر نفسه، ص ٣٨.

٣٨. المصدر نفسه، ص ٣٩.

٣٩. المصدر نفسه، ص ٨٦.

٤٠. المصدر نفسه، ص ٨٦.

٤١. المصدر نفسه، ص ٣٩.

٤٢. المصدر نفسه، ص ٤٠.

٤٣. المصدر نفسه، ص ٤١.

٤٤. المجلسي، بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٤٠ / ٢٠.

٤٥. الديوان، ص ٨٨.

٤٦. مشرف، زندگی وشعر محمد فضولی، ص ١٤.

٤٧. الديوان، ص ١١٠.

السنة الثامنة/المجلد الثامن/العدد الثالث والرابع(٢٩-٣٠)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٣هـ/كانون الأول ٢٠٢١م

٤٨. الديوان، ص ٢١٤.

٤٩. عيون أخبار الرضا: ١/ ٧١-٧٢.

٥٠. الديوان، ص ٤٨.

٥١. المصدر نفسه، ص ٤٧.

٥٢. المصدر نفسه، ص ١٢٠.

٥٣. المصدر نفسه، ص ٢١٣.

٥٤. المصدر نفسه، ص، ١٢١.

٥٥. المصدر نفسه، ص ٢١٤.

٥٦. المصدر نفسه، ص، ٢١٢.

٥٧. المصدر نفسه، ص، ١٢٠.

٥٨. الشيخ الصدوق، الخصال، ٢/ ٥٠٨.

٥٩. الديوان، ص ١٢٢.

٦٠. المصدر نفسه، ١٣٨.

٦١. بندر أوغلو، مطلع الاعتقاد والقصائد العربية للشاعر فضولي البغدادي، ص ١٠.

٦٢. الديوان، ١٤١.

٦٣. المصدر نفسه، ص ١٤٥.

٦٤. المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

٦٥. أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ص ٢٦٤.

٦٦. عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص ١١.

٦٧. الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص ٢٦٣.

٦٨. الديوان، ص ٢٤٣.

٦٩. المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

٧٠. المصدر نفسه، ص ٢٢١.

٧١. المصدر نفسه، ص ٢٤١.

٧٢. المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

٧٣. مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٩٧.

٧٤. الديوان، ص ٢٤٢.

٧٥. المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أوّلاً: المصادر باللغة العربية

١. الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، أبو العدوس، يوسف، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع(١٩٩٧م).

٢. الالتزام في الشعر العربي، أبو حاقة، أحمد، بيروت: دار العلم للملايين(١٩٧٩م).

٣. بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، محمدباقر، بيروت: مؤسسة الوفاء(١٤٠٣هـ)

٤. تاريخ الأدب العربي، فروخ، عمر بن عبد الله، بيروت: دار العلم للملايين(١٤٠٧هـ).

٥. التكرار في شعر محمود درويش، عاشور، فهد، عمان: المؤسسة العربية(٢٠٠٤م).

٦. الخصال، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، قم: انتشارات جامعه مدرسين(١٤٠٣هـ).

٧. دائرة المعارف الحسينية، المدخل إلى الشعر الحسيني، الكرباسي، محمد صادق محمد، لندن: المركز الحسيني للدراسات(٢٠٠٠م).

٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني، الشيخ اقا بزرگ، بيروت: دار الأضواء(١٤٠٣هـ).

٩. ضرورة الفن، فيشر، ارنست، ترجمة أسعد حليم. القاهرة: نشر الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر(١٩٧١م).

١٠. عيون أخبار الرضا، الشيخ محمد بن علي الصدوق، صححه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١١. فضولي البغدادي، حسين محفوظ، علي، بغداد: د.ن.(١٩٥٩م).

١٢. في الأدب الإسلامي، فضولي بغداد، مجيب المصري، حسين، القاهرة: مطبعة الفكرة(١٩٦٧م).

١٣. قضايا الشعر المعاصر، الملائكة، نازك، ط ٨. بيروت: دار العلم للملايين(١٩٨٣م).

١٤. قضية الالتزام في الشعر العربي، غرام، محمد، دمشق: دار طلاس(١٩٨٩م).

١٥. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

١٦. مطلع الاعتقاد والقصائد العربية للشاعر فضولي البغدادي، بندر أوغلو، بغداد: دار الشؤون الثقافية الخاصة(١٩٩٤م).

١٧. مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم، مؤسسة الخرسان للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م.

ثانيًا: المصادر باللغة الفارسية:

١. زندگى وشعر محمد فضولى، مشرف، مريم، تهران: انتشارات روزنه(١٣٨٠.ش).

٢. نشريه دانشكده ادبيات تبريز، خيامپور.(د.ت). «فضولي محيط زندگانى

وشخصيت او»، العدد ١-٢. ص ٩٧- ١١٠.

٣. هنر چيست؟، تولستوي، ليف نيكالايويچ، تر: كاوه دهگان. قم: موسسه فرهنگی واطلاع رسانی تبيان(١٣٩٥).

ثالثًا: المجلات والدوريات:

١. الأدب المعاصر، فلاحتي، صغرى والآخرون.(١٣٩٤ .ش). «دراسة الشعر الحسيني سياسيًا (شعر حسن السنيد نموذجًا)».. السنه ٧. العدد ٢٧. ص ٥١-٧٢.

٢. مجله دانشكده ادبيات وعلوم انسانی دانشگاه تهران، جاكابچير.(د.ت). «محمد فضولي بغدادی»، ش ١ و٢. ص ١٤١-١٦٦.

رابعًا: الجرائد:

جريدة البلد، سلمي، عزيز.(١٩٦٦ م). «الشاعر التركي الأشهر فضولي بغداد»، العدد ٥٣٧. ٣٨ شباط.

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

فضولي البغدادي شاعر اهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي بيات:

http:// www.bizturkmeniz.com/ar/index.php?page=article&id=13397